جمالية التّصويـر في بديعيـة ابن جابر الأندلسي

The charm of picturization in badiyyat of Ibn Jaber Al-Andalusi

عـبـد البـاسـط تـابـتي
Abdelbassit TABTI
جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان.
المشرف :طول محمد،motoul5@yahoo.com

الاستلام: 2019/11/28 القبول: 2019/12/15 النشر: 2021/01/31

ملخص:

تـعدّ البـديعيـات من أجـمل قصائد المديح النّبـوي ،استـوقفـت الأدباء ببلاغتها و النقّاد بأسلوبها و جمالية صورتها ،فجـاءت هذه الـدّراسـة لتـجـيب على عـدّة إشكاليات اسـتـوقـفـتـني و أنـا أتـطـوّف في ريـاض قصيدة ابن جابر لتـميط اللّثام عن تـراثـنـا الأدبـي العريـق و تـعرّف بـلـون شـعري ظلّ مغـمـورا زمـنـا طـويـلا . و أتـحسّس الصّورة الشّـعريـة و دفقها الجـمالـي.

كلمات مفتاحية: البديعيـات، التّصوير ،النّبـي،الجمال،ابن جابر .

Abstract:

Figures of speech of the most beautiful poems of praise of the Prophet, stopped writers in style and charm of her statement came this study to answer several problems struck me, I search in kindergarten Figures of speech poetry of Ibn Jaber and to reveal all the literary heritage, You get to know the color' s poetry that has remained obscure for a long time. Feel the poetic image and its aesthetic flow .

Keywords: keywords; poetry' s Figures of speech; picturization; the prophet; beauty ; Ibn Jaber.

المؤلف المرسل: عـبـد البـاسـط تـابـتي ، الإيميل: tabti.abdelbassit89@yahoo.com

1. مقدمة:

المديح النّبوي غرض شعري قديم متجدّد،أرسى قواعده ثلّة من شعراء صدر الاسلام أمثال كعب بن زهير و حسّان بن ثابت و عبد الله بن رواحة - رضي الله عنهم - ليقتفي خطاهم بعد ذلك الأدباء احتفاء بمناقب الرّسول عليه الصّلاة و السّلام للتغنّي بشمائله و عبق سيرته الحافلة العطرة التي أذكت قرائح الشّعراء،فأطلقت ألسنتهم تلهج بالمدح و الثّناء عليه صلى الله عليه وسلّم فتنافسوا في المديح النّبوي تنافسا كبيرا، كان من نتاجه قصائد مدحية جديدة من مولديات،حجازيات،نعاليات و بديعيات .هذه الأخيرة جاءت مطرّزة بأحسن حلل البديع موشّاة بأجمل بيان و أشرف معنى،فما هي البديعيات ؟ بم تتسّم من خصائص ؟ كيف زاوجت القصيدة البديعية بين صورة الرّسول عليه أزكى صلاة و أطيب سلام و جمال اللّفظ ؟

2.البديعيات التعريف و النشأة :

1.2تعريف القصيدة البديعية :

البديعية هي قصيدة تنتمي إلى غرض المديح النّبوي فهي أحد أنواعه " و هي قصيدة طويلة في مدح النّبي عليه الصّلاة و السّلام على بحر البسيط و روي الميم المكسورة ، يتضمّن كلّ بيت من أبياتها نوعا من أنواع البديع "1 (زيد، 1983، صفحة 46)فهي قصيدة موضوعها الأساس المديح النّبوي ، يقوم شكلها على توظيف المحسّنات البديعية حيث يذكر في كلّ بيت نوع من البديع قد يذكر بالاسم صراحة أو يشار إليه . فهي من حيث الموضوع لا تخرج عن كونها " قصائد في المديح يتوسّل صاحبها بحبّ المصطفى صلّى الله عليه و سلّم لنيل شفاعته يوم القيامة "2 (عيكوس، 1998، صفحة 80) و طلب القربى في جنّات عدن .

من خلال التّعريف أستخلص أنّ قوام البديعية على أربع أسس أجملها فيما يلي:

- أن تكون القصيدة على بحر البسيط ، رويّها الميم المكسورة .
- أن يشتمل كلّ بيت منها على نوع من أنواع البديع مثالا و ذكرا أو تورية له .
- أن تكون في غرض المديح النّبوي .
- أن تكون قصيدة طويلة .

فمن حيث الشّكل هي محكومة بإيقاع البحر البسيط و روي الميم المكسورة ، أمّا من حيث المضمون فيشكّل كلّ بيت منها مثالا لمحسّن بديعي ، يولّف بينها غرض المديح النّبوي إذ " جميع أبياتها في المديح النّبوي و الشّوق إلى زيارة مقامه الكريم و ذكر سيرته المعطّرة بالمواقف الخالدة "3 (عيكوس، 1998، صفحة 80) و الثّناء على شمائله و تمجيد أيّامه عليه الصّلاة و السلام . اخترت من بين التّعاريف الكثيرة للنقّاد تعريفا جامعا دقيقا لأتطرّق بعدها لبداية نشأتها و أهمّ أعلامها.

2.2 نشأة البديعيات :

تعدّ بديعية صفي الدّين الحلّي،أبو المحاسن عبد العزيز بن سرايا الحلّي (ت750) المسمّاة بـ (الكافية البديعية في المدائح النّبوية) أول بديعية مكتملة في تاريخ البديعيات ، قلت مكتملة أي مستوفية للشّروط، فقد وجد قبلها قصيدة لعلي بن عثمان الإربلي (ت :670 ه) نظمها وفق شكل البديعيات فضمنّ كلّ بيت منها محسّنا بديعيا، لكنّه قالها في مدح أحد أمراء عصره و لم يكن غرضها المديح النّبوي فخرجت كونها من البديعيات، يقول عنها شوقي ضيف :" نجد علي بن عثمان الإربلي ينظم قصيدة في مديح بعض معاصريه مضمّنا كلّ بيت منها محسّنا من المحسّنات البديعية ،اقتصر على طائفة منها "4(ضيف، د.س، صفحة 360) و بغضّ النّظر عن الخلاف في أوليّتها و قصب السّبق في نظمها أهو لصفي الدّين الحلّي(750ه) أو ابن جابر الأندلسي(780 ه) أو لعي الإربلي (670ه) فقد بيّنت أنّ قصيدة هذا الأخير اهتمّت بتوظيف البديع و التّمثيل له و لكنّ موضوعها لم يكن في غرض المديح النّبوي ، وقد بسط الخلاف و استوفى الشّرح فيه علي أبو زيد في كتابه البديعيات ليس المقام هنا موضع بحثه 5 (زيد، 1983، الصفحات 56-57) " إذ بعد تمحيص الخلاف و البحث نجد أنّ صفي الدّين الحلّي هو أقدم من نظم قصيدة بديعية مكتملة وفق الشّروط الأربعة التي سقتها آنفا ، حيث يقول عنها شوقي ضيف : " نجد في القرن الثّامن الهجري صفي الدّين الحلّي ينظم قصيدة في مديح الرّسول صلّى الله عليه و سلّم على غرار قصيدة البردة ،امتدّت إلى مائة و خمسة و أربعين بيتا من بحر البسيط ، ضمّن كلّ بيت فيها محسّنا من محسّنات البديع "6(ضيف، د.س، صفحة 360) .

و قد نظمها صفي الدّين الحلّي على معارضة قصيدة البردة للبوصيري التي ذاع صيتها في الآفاق ، فنتج عن هذه المعارضة قصائد البديعيات ،" و لقد سار كثير من شعراء العصر على أثر البردة ، فاحتذاها و عارضها الشّعراء مثل صفي الدّين الحلّي و ابن جابر الأندلسي و ابن حجّة

الحموي ، لكنّهم نهجوا نهجا جديدا في مدائحهم إذ طرزوها بالبديع و سمّوها بالبديعيات"7(سلام، د.س، صفحة 328) من هنا يأتي اسم البديعيات و يعدّ الحلّي أول من سمّاها بالبديعيات حيث سمّى قصيدته (الكافية البديعية في المدائح النّبوية)و سمّى شرحه عليها(النّتائج الإلهية في شرح الكافية البديعية). إذن كان من نتاج معارضة البردة ظهور البديعيات المخصوصة بإيقاعها ، فانطلق الشّعراء يتنافسون في احتذاء البردة و السّير على سننها ممّا فتح الباب واسعا للتّجديد و الابتكار في غرض المديح النّبوي و " أثار الشّعراء فيما بينهم ثائرة المنافسات الأدبية ، فكانت حافزا آخر من حوافز شاعريتهم "8 (سليم، 1965، صفحة 264) و جدير بالذّكر أنّ البديعيات ظهرت في القرن الثّامن الهجري الذي كان بحقّ عصر اكتمال المنظومات في شتّى العلوم خاصّة منها النّحو و البلاغة و الفقه و السّيرة النّبوية فيبقى الارتباط وثيقا بينها و طبيعة العصر الذي احتضنها ، وقد عدّها بعض النقّاد من قبيل المنظومات العلمية التي تهتمّ بعلوم البلاغة و تحديدا باب البديع فكلّ بيت منها شاهد لنوع من أنواع المحسّنات البديعية و كونها "صناعة فكرية أكثر منها صناعة أدبية إذ هي ضرب من شعر حقائق العلوم و الفنون ذلك لأنّ موضوعها يدور حول ذكر لونين من الحقائق،حقائق الأنواع البديعية و حقائق السّيرة النّبوية "9 (سليم، 1965، صفحة 177) هذا و قد رصدت من كتب البلاغة و البديع أمّات البديعيات التي توقّف عندها النقّاد و اشتغلوا عليها فوجدتها ترجع إلى سبعة قصائد،أذكر أصحابها و مطالعها مرتّبة فيما يلي10 (ضيف، د.س، الصفحات 361-365) :

1- عبد العزيز ابن سرايا بن أبي القاسم بن أحمد بن نصر بن أبي العزّ الحلّي(750ه) بديعيته (الكافية البديعية في المدائح النّبوية) في مائة و خمسة و أربعين بيتا، مطلعها :

إن جِئْتَ سَلعاً فَسَلْ عَن جيرةِ العَلَمِ واقْرَ السَّلامَ عَلى عُـرْبٍ بِذي سَلَـمِ

2- شمس الدين بن أبي عبد الله محمد بن أحمد بن علي بن جابر الأندلسي(780ه) بديعيته (الحلّة السيّرا في مدح خير الورى) في مائة و سبعة و عشرين بيتا، مطلعها :

بِطَيْبَـةَ انْـزِلْ ويَـمِّمْ سَـيِّدَ الأُمَـمِ وانْـثُـرْ له المَدحَ وانْـشُـرْ أَطيبَ الكـلِـمِ

3- عـزّ الـدّيـن الـموصلي (789هـ) بديـعيتـه و شرحها (التّـوصيل بـالبديع إلى التـوصّـل بالشّـفـيـع) جاءت في مـائـة و خمسـة و أربـعـين بيـتـا، مطلعـها : بـرَاعـةٌ تَـسـتـهِـلُ الدَّمْعَ في العَـلَـمِ عِـبـارةٌ عـن نِـدَاءِ المـفـرَدِ الـعَـلَـمِ

4- تـقي الدّيـن أبي بكـر علـي بن محمّد ابن حجّـة الحمـوي (837هـ) و شرحها شرحا مطـوّلا سـمّـاه (خزانـة الأدب) جـاءت في مـائـة و اثـنـيـن و أربـعـين بيـتـا ، مطلعـها : لِي في ابْـتِـدَا مَدحِكُم يـا عُـرْبَ ذي سَلَمِ بـراعـةٌ تَـسـتـهـلُ الدّمْـعَ في العَـلَـمِ

5- جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، (911هـ)، بـديعيتـه (نظم البديع في مـدح خير شـفـيـع) مطلعها:

مِـن العَـقـيـقِ و مِن تِـذكَـارِ ذي سَـلَـمِ بَـراعـةُ العَـيْـنِ في استـهْـلالِـها بـدَمِي

6- عـائـشـة بـنـت يوسـف بن أحمد بن خليفة البـاعـوني(922هـ) حيث جـاءت بـديـعيـتـها في مـائـة وثـلاثـيـن بيـتـاً ، مطلعها :

فِي حُسْن مطلَعِ أقمَارِي بِذي سَـلَـمِ أصبحتُ في زُمـرةِ العُـشَّـاقِ كـالـعَـلَـمِ

7- صدر الدّين بن معصوم الحسني المدني (1117هـ) و بديعيته مع شرحه لها (أنوار الرّبيع في أنواع البديع) مطلعها :

حُسْنُ ابْـتِـدائِي بذكْرَى جِيـرةِ الحَـرَمِ لَـه بَـراعَـةُ شَـوْقٍ تـسـتـهِـلُّ دَمِـي

3.بديعية ابن جابر الأندلسي و جمالية التّـصوير:

1.3 بديعية ابن جابر الأندلسي (780هـ):

لـقـد خصّت بـديـعـيـة ابن جابـر الأنـدلسي الهـوَّاري بعنـايـة الأديـاء و النـقّـاد قديما و حديثا لما امتازت به من الجودة و ما حازت عليه من الكمال " فهي تمتاز بجودة النّظم و سهولته و وضوح المعنى و رقّة العاطفة و صدقها ، إضافة إلى أنّ بعض الباحثين يرى أنّ بديعية ابن جابر هذه تعدّ أوّل بديعية في تاريخ الشّعر العربي "11 (االأندلسي، 1985، صفحة 7)فهي بديعية تتميّز عن غيرها بالفصل بـين أنـواع البـديـع اللّـفـظيـة و المعنوية منها ، تتميم البديعية بأبيات لتحقيق اكتمال المعنى و توضيح الصّورة و إن لم تحمل هذه الأبيات أنواعا جديدة من البديع ،كما تتسّم بسهولة المعاني و وضوح العبارة و جمال الصّورة الشّعرية هذا ما حملني على التّـنقيب في أبياتها و تحسّـس شعريتها و تقصّي بـراعـة تـصويرها.

تقع بديعية ابن جابر الأندلسي و التي سمّاها بـ(الحلّة السيّرا في مدح خير الورى) في مائة و سبعة و سبعين (177) بيتا ضمّنها أنواع البديع التي ذكرها الخطيب القزويني في كتابه (الإيضاح في علوم البلاغة) و التزم بذكرها و ترتيبها كما أوردها القزويني كما استطاع ابن جابر أن يغلّب فيها الجانب الوجداني العاطفي في تجسيد صورة الممدوح المصطفى صلّى الله عليه و سلّم فأورد ستّة و عشرين (26) بيتا تتمّة للبديعية لا تحمل أنواعا جديدة للبديع بل كانت الحاجة إلى إضافتها حاجة نفسية لتجسيد الصّورة الشّعرية و ما تكتنفها من عاطفة جيّاشة و حسّ مرهف وقد شرحها ابن جابر شرحا مختصرا ثمّ توسّع في شرحها صديقه شهاب الدّين الرّعيني(730هـ) سمّاه (طراز الحلّة و شفاء الغلّة) وهو دراسة نظرية تطبيقية لعلم البديع ، و جدير بالذّكر أن نذكر فضل الدّكتور علي أبو زيد في عنايته بطبع بديعية ابن جابر الأندلسي و تحقيق مخطوطها من المكتبة الظّاهرية بدمشق فأخرجها للنّور و أعاد بعثها من سباتها بين رفوف المكتبات ، لأمتشق قلمي و أوفّر جهدي محاولا تتبّع صورها متحسّسا جماليتها في هذا البحث لعلّي أستثير همم الباحثين للعناية بتراث أدبائنا الذي ظلّ حبيس أدراج رفوف مكتبة المخطوطات و أرشيفها .

2.3 جمالية التّصوير في بديعية ابن جابر:

يعدّ المديح النّبوي الأساس الذي تقوم عليه البديعية فغرضها الأسمى تجديد الصّلة بشفيع الأنام عليه الصّلاة و السّلام و الثّناء على صحّابته الكرام الذين سكنوا البقيع و أناخوا بذي سلم ، وهي من الأماكن المقدّسة التي تغنّى بها البديعيون فتجد الشّاعر يستحضر صورة النّبي عليه الصّلاة و السلام خِلقة و شمائلا ، سمتا و دلّا على طول تمفصلات القصيدة،يستهلّها " بمقدّمة يصوّر فيها شوقه لزيارة الأماكن المقدّسة و يمضي الشّاعر مباشرة إلى مديح النّبي عليه الصّلاة و السّلام ، فيتحدّث عن شمائله ذاكرا فضله على سائر الأنبياء عليهم السّلام متتبّعا ما وقع له من معجزات كما يتحدّث عن غزواته ،ثمّ عن فضائل الصّحابة لينهي القصيدة بالدّعاء "12 (مكي، 1991، صفحة 139) فيسير الشّاعر وفق هذه الخطّة الفنّية مستلهما عبق نفحات السّيرة العطرة ليتجلّى في أبيات قصيدته الجلال في صورة الرسول المصطفى عليه الصّلاة و السّلام و يضفي مسحة قدسية تلامس الوجدان و تحرّك العاطفة بشاعرية مرهفة ،إذ المديح النّبوي" لون من التّعبير عن العواطف الدّينية و باب من الأدب الرّفيع لأنّها لا تصدر إلاّ عن قلوب مفعمة بالصّدق و الإخلاص"13 (مبارك، 1965، صفحة 26) . هذا بعينه ما تلمسه و أنت تقرأ بديعية الحلّة السّيرا لابن جابر

فتستحضر مخيالها و تتحسّس دفقها الشّعوري، نمثّل لهذا ببعض الأبيات من بديعيته ، يقول 14 (الرعيني، 1990، صفحة 214) : صبٌّ

الدُّمُوع كَأَمْثَالِ العَقِيقِ عَلَى وَادِي العَقِيقِ اشْتِيَاقاً حَقَّ صَبِّهِم

يصوّر الشّاعر مقام النّبوة الشّريف و ما له من حقوق لازمة على سائر النّاس كحقّ العاشقين من فرط تعلّقهم ،فتراه يريق الدّمع و يصبّه صبّاً،لقد زاوج ابن جابر بين استحضار حقّ النّبي بفضله صلّى الله عليه و سلّم و حسن السّبك بمحسّن الجناس التّام بين (العقيق و العقيق) ، فالعقيق في صدر البيت نوع من الأحجار الكريمة مثل اللؤلؤ ، والعقيق في عجز البيت فالمراد به الوادي المعروف في أرض الحجاز كثيرا ما تغنّى به البديعيون في قصائدهم . فكان هذا الرّابط البديعي - الجناس- هو المشكّل لتلك العلاقة المتأرجحة بين التّجانس لفظا و معنى" ففنون البديع فاعلة بدرجة أو بأخرى في حبك النّص "15 (المجيد، 1998، صفحة 141) فتتداخل الصّور و الأخيلة و تتمازج المحسّنات البديعية لتخرج لنا بيتا بديعيا قد تواءم فيه اللّفظ و المعنى و حمّله دفقا شعوريا نضبا لتحقيق الملاءمة بين الصّوت و المعنى 16 (العمري، 2001، صفحة 62).

و في مقام آخر يصوّر ابن جابر اشتياقه لزيارة قبر النّبي عليه الصّلاة و السّلام ما يعانيه من أرق و دمع رقراق صبّ في سبيل لقاء حبيبه و نيل مرغوبه و قد هزل جسمه و نحف من شدّة الجوى،وكأنّي بالشّاعر يكتنفه ليل العاشقين الحالمين،فتستشّف صدق العاطفة و دفء الإحساس و جمال التّمثّل لمقام الشّوق في حضرة النّبي عليه الصّلاة و السّلام فيقول 17 (االأندلسي، 1985، صفحة 161) :

فَأَيُّ كَرْبٍ لركْب يُبْصِرُون سَنَا بَرْقٍ لِقَبْر مَتَى تَبْلُغْه تُحْتَرِمِ

مَتَى أَحُلُّ حِمَى قَوْمٍ يُحِبُّهُمْ قَلْبِي و كَمْ هَائِمٍ قَبْلِي بِحُبِّهِم

أمّا في مقام وصف كرمه و حلو شمائله عليه الصّلاة و السّلام يرتقي باللّغة العذبة الرّقيقة في استطراد للجناس فيقول18 (االأندلسي، 1985، صفحة 164) :

جَمِيلِ خَلْقٍ على حَقٍّ جَزِيلِ نَدًى هَدًى و فَاضَ نَدَى كَفَّيْهِ كَالدِّيَمِ

كَالغَيْثِ فَاضَ إِذْ المَحْل استَفَاضَ تَلَا أَنْفَالَ جُودٍ تَلَاقَى تَالِفَ النَّسَمِ

زاوج الشّاعر بين صورته الخلُقية من طيب محتده و شريف فعاله في كرمه و جوده و سخاء أعطياته كالسّحاب الماطر الذي يغيث النّاس بعدما أجدبوا فاستعان الشّاعر بالتّشبيه المجمل (كالدّيم) و تتابع الجناس (ندى / هدى) ليجسّد كرم يده و حسن فعاله و غياثه للمحتاج الفقير ، فجمع فيه الحسن معنى و لفظا لتتجلّى جودة الوصف لخُلُق النّبي عليه الصّلاة و السّلام و يرتقي باللّغة البسيطة إلى مستوى شعري حلّق فيه إلى آفاق من الفنّ و الشّاعرية .

إنّ البناء الذي تقوم عليه البديعية و تتشكّل وفقه هو أسلوب بلاغي زاخر بلغة واصفة ملتبسة بالمحسّنات على تنوّعها كالطّباق و المقابلة،السّجع و الجناس فهي تقوم على رعاية أسرار البلاغة و تقنيات الفصاحة و جمال الصّورة "ببراعة تهدف إلى حسن التخلّص ، هذا بالطّبع له تأثير على نفسية المتلقي "19 (الغني، 2008، صفحة 137). من تحريك للمواجد و استثارة للإعجاب لتخرّج في أجمل حلّة و أروع سبك محقّقة بناء شعريا فريدا يكتنز الصّور الشّعرية الحيّة و الدّافقة .

في هذا السّياق نمثّل بقول ابن جابر الأندلسي20 (الرعيني، 1990، صفحة 142):

سَلْ منهم صِلَةَ للصَّبِّ وَاصِلَة   والثُمْ أَنَامِلَ أَقْوامٍ أَنَا بِهِم

لقد أورد الشّاعر هذا البيت في مقام استشهاده للجناس الناقص ، وقد حقّق الجمال الإيقاعي دون كلف في تتابع الألفاظ التّالية (سل،صلة،الصبّ،واصلة) ليحدث جرسا موسيقيا رنّانا في أذن القارئ و السّامع على حدّ سواء ،كما كان للتّجانس المعنوي حظّه في البيت و ذلك باستحضار المتلقّي في الفعلين (سلْ، التُم بمعنى قبّلْ) و نقله لمقابلة حضرة النّبي عليه الصّلاة و السّلام سائلا له عطية من كرمه و نوال يده ثمّ بتقبيل أنامل اليد الشّريفة البيضاء ، إنّها صورة شعرية متحرّكة تستثير المخيال و تحرّك القلب مهابة بحضرة صورة المصطفى عليه الصّلاة و السّلام،صورة زاوجت بين الإيقاع اللفظي في جماله و التّجانس المعنوي في استحضار جلال صورة النّبي عليه الصلاة و السّلام "فتصبح الكلمات المتجانسة و المرتبّة ترتيبا خاصّا في الشّعر تشكّل قاعدة إيقاعية مهمّة في تصوير التّجربة الشّعرية أو المعنى الأعمق للشّعر "21 (الرباعي، 1998، صفحة 47) هذا بعينه ما نقف عليه في هذا البيت الشّعري المفعم بالبديع و الدينامية في التّصوير ، لهذا اتّصف ابن جابر في بديعيته بالمقدرة الشّعرية و الكفاءة اللغوية التي مكّنته من صهر معاني المديح النّبوي بعد علمه بالسيرة النّبوية العطرة ،استطاع أن يصهرها في القاعدة البلاغية التي تضبط التّمثيل لألوان البديع في قالب شعري ماتع من ذلك قوله في وصف شوقه و

عطشه الروحي 22 (الرعيني، 1990، صفحة 252) : يَمِّمْ بِـنَـا البَحْرَ

إنَّ الرَّكْـبَ فِي ظَمَـإٍ فَقُلْتُ سِـيرُوا فَـهَـذَا البَـحْـرُ مِـن أمَـم

استحضر الشّاعر صورة الرّسول القريبة من قلبه و قد استحوذت على وجدانه و ملكت جنانه ناسيا ظمأه الحسّي ليرتوي من محبّة الرّسول عليه الصّلاة و السّلام فيتجاوز بنا الإيقاع الصّوتي (التجانس اللفظي) إلى إيقاع المعاني في وجدان الشّاعر الذي تملّكه عطش الروح و ظموؤها لقربه من محبوبه في حرم المدينة المنوّرة بحضور النّبي حيّا و قبره ميْتا عليه الصّلاة و السّلام بهذه الصّورة الشّعرية الغائرة في التّأويل العميقة في التدليل و التي تنمّ على مكنة الشّاعر في المزاوجة بين اللّفظ و المعنى في تناغم يشعر بانقياد الألفاظ مع الوزن للشّاعر،على الرّغم من أنّه كان ينظم مع اشتراك المادّة العلمية(السيرة النّبوية)،فيشعر الإنسان بعاطفة تفرض نفسها على أحاسيسه موحية بمشاعر النّاظم الصّادقة "23(زيد، 1983، صفحة 74) . هذه النّماذج الشّعرية من البديعيات تنمّ عن المزاوجة بين جمال اللفظ ممثلاً في ألوان البديع و محسّناته و بين جلال المعنى ممثّلاً في مديح النّبي و استحضار صورته و مقابلة الشّاعر له في موقف شعري رفيع و مهيب له سطوته على مجامع القلوب و مكامن النّفس، إنّها مزاوجة سمت باللغة من مستواها المألوف إلى مستوى رامز مكثّف بالدلالات النّفسية العميقة و الصّور المشهدية الرائعة زيّنتها المحسّنات البديعية و أضفى عليها المديح لمسة بيانية قدسية فحقّ لها أن توسم بالبديعيات.

يتضّح من خلال النّماذج التي سقتها أنّ الصّورة الشّعرية و استحضار مقام النّبوة خِلقة و شمائلا مع ما يصفه الشّاعر من شوقه و لوعته تتلاءم مع الرّقة في الكلمات و جزالة الألفاظ و روعة التّراكيب،فهو نقل للمتلقّي من السّماع إلى عوالم الحسّ و الأشهاد، ممّا يجعل المتلقّي يتصوّر عالم النّبي عليه الصّلاة و السّلام حسّا و كأنّه يعاينه واقعا ممّا يذكي المخيال و يستجلي الصّور و يستثير العاطفة و يستجدي الحسّ المرهف في صورة شعرية بديعة رفيعة فهي جديرة بوسم قصائد البديعيات .

4.خاتمة:

إنّ التّنقيب في البديعيات و ظروف نشأتها و أهمّ أعلامها و البحث في جمالية التّصوير في بديعية ابن جابر الأندلسي كشف لي عدّة نتائج أجملها فيما يلي :

أولا :إن البديعيات تعدّ بمثابة وثائق بلاغية يجب علينا دراستها دراسة علمية ممنهجة، فهي تكشف لنا عن تطور البلاغة العربية منذ نشأتها ،

ثانيا: إن البديعيات تزخر بالجوانب البلاغية والنّقدية المهمّة التي يجب أن نعرّف بها وذلك بالوقوف عليها دراسة و تحليلا، ورصدها رصداً علمياً متأنّياً،

ثالثا: أسهمت البديعيات في تقريب فهم البلاغة و حسن تطبيق ألوان البديع بأسلوب أدبي رائق و شائق .

رابعا : تعدّ بديعية ابن جابر الأندلسي أجمل البديعيات و أكملها نضجا بشهادة النقّاد قديما و حديثا.

خامسا قد وفّقت بديعية ابن جابر في المواءمة و المزاوجة بين جمال اللّفظ و جليل المعنى حين جمعت بين المديح النّبوي و ألوان البديع .

سادسا : استطاع ابن جابر استحضار صورة النّبي عليه الصّلاة و السّلام و عبق سيرته و تجسيدها ماثلة للعيان و أضفى عليها مسحة قدسية و لمسة بيانية .

سابعا :تكمن جمالية التّصوير في بديعية ابن جابر في المواءمة و الجمع بين جمال اللّفظ و جليل المعنى و استثارة الحسّ الوجداني .

ثامنا : الصّورة الشّعرية في بديعية ابن جابر تكتنز عدّة ألوان بيانية ممزوجة بمواقف وجدانية تنصهر في بوتقة واحدة لتخرّج الصّورة في أبهى حلّة و أجمل تركيب .

5. الهوامش:

1:علي أبو زيد ، البديعيات في الأدب العربي ، عالم الكتب ، ط1، بيروت ،1983،ص46.

2:لخضر عيكوس،جماليات البديعيات و خصائصها الفنّية ،مجلة آفاق الثّقافة و التّراث،الإمارات،مج6،ع22 ،1998،ص80.

3:لخضر عيكوس،جماليات البديعيات و خصائصها الفنّية، ص80.

4:شوقي ضيف،البلاغة تطور و تاريخ،دار المعارف،ط9 ،القاهرة ،د.س ،ص360.

5: ينظر :علي أبو زيد،البديعيات في الأدب العربي،ص56- 57.

6: شوقي ضيف،البلاغة تطور و تاريخ،ص360.

7: محمد زغلول سلام،الأدب في العصر المملوكي،منشأة المعارف،د.ط،الإسكندرية،د.س،ص328.

8:محمود رزق سليم،عصر سلاطين المماليك و نتاجه الأدبي و العلمي،مكتبة الآداب،ط1،القاهرة 1965،ص264.

9:محمود رزق سليم،عصر سلاطين المماليك و نتاجه الأدبي و العلمي،ص177.

10:شوقي ضيف،البلاغة تطور و تاريخ،ص361- 365.

11: محمد بن جابر الأندلسي،الحلّة السّيرا في مدح خير الورى ،تح:علي أبو زيد ،عالم الكتب،ط2 بيروت،1985،ص7.

12:محمود علي مكّي،المدائح النّبوية ،الشّركة المصرية العالمية للنّشر ، ط1، مصر ، 1991،ص139.

13:زكي مبارك،المدائح النّبوية في الأدب العربي،المكتبة العصرية ،ط1،بيروت،1965،ص26.

14:شهاب الدّين الرّعيني ،طراز الحلّة وشفاء الغلّة،تح:رجاء الجوهري،مؤسّسة الثقافة الجامعية ،د.ط،الإسكندرية،1990،ص214.

15:جميل عبد المجيد،البديع بين البلاغة العربية و اللسانيات النّصية،الهيئة المصرية العامة للكتاب د.ط،القاهرة ،1998،ص141.

16:ينظر:محمد العمري ،الموازنة الصوتية في الرؤية البلاغية و الممارسة الشّعرية ،إفريقيا الشّرق د.ط، المغرب ،2001،ص62.

17: محمد بن جابر الأندلسي،الحلّة السّيرا في مدح خير الورى ،ص161.

18: محمد بن جابر الأندلسي،الحلّة السّيرا في مدح خير الورى ،ص164.

19:يسرى عبد الغني عبد الله ،البديعيات فنّ بلاغي يحتاج إلى تأمّل،مجلّة علامات في النّقد،جدّة،مج17،ع 67، 2008 ،ص137.

20:شهاب الدّين الرّعيني،طراز الحلّة وشفاء الغلّة،ص142.

21:عبد القادر الرباعي،في تشكل الخطاب النقدي-مقاربات منهجية معاصرة-،منشورات الأهلية،ط1،الأردن1998،ص47.

22: شهاب الدّين الرّعيني،طراز الحلّة وشفاء الغلّة،ص252.

23: علي أبو زيد،البديعيات في الأدب العربي،ص74.